

# حروف حرّة

العدد السادس، أوت 2021

مجلة شهرية تصدر عن جمعية تونس الفتاة

دولة الطائف المعطوبة:  
الأسوأ لم يأت بعد

معضلة التوجيه الجامعي

كيف يتكوّن الدين؟  
قراءة في كتاب ألفرد نورث هوابتهد

يوميات الطاهر الفازع الأسبوعية:  
صفحات من التاريخ المحكي

وقائع القتل المشتبه (قصيدة)

تونس ما بعد 25 جويلية: أي أفق ديمقراطي؟

# تقارير في هذا العدد

دولة الطائف المعطوبة: الأسوأ لم يأت بعد ص. 3

أنيس عكروتي

تونس ما بعد 25 جويلية: أي أفق ديمقراطي؟ ص. 4-5

سوسن فري

كيف يتكوّن الدين؟ قراءة في كتاب ألفرد نورث هوائتهد ص. 6-7

فهمي رمضاني

يوميّات الطاهر الفازع الأسبوعية: صفحات من التاريخ المحكيّ ص. 8-9

خلود الخمّاسي

وقائع القتل المشتهى ص. 10

حمزة عمر

معضلة التوجيه الجامعي ص. 11

خلود الخمّاسي



جمعية تونس الفتاة

التصميم

حمزة عمر

مصدر صورة الغلاف

Hassene Dridi/AP/SIPA

للتواصل معنا

redaction@tounesaf.org

رئيس التحرير

حمزة عمر

فريق التحرير

أنيس عكروتي

خلود الخمّاسي

خولة القاسمي

فهمي رمضاني

هشام الزعبي

حروف حرة

مجلة شهرية تصدر عن

جمعية تونس الفتاة

تأسست في مارس 2021

## دولة الطائف المعطوبة: الأسوأ لم يأت بعد



بقلم: أنيس عكروتي

عضو مؤسس لجمعية تونس الفتاة

مهندس بيولوجي

باحث في شؤون الجماعات الجهادية

anis@tounesaf.org

بالمصيدة وعاجزون على تلبية مطالب اللبنانيين ألا وهي تغيير النظام الحالي جذرياً وبناء دولة مؤسسات فعلية، لا دولة محاصات وتسويات من وراء الستار.

وأسوأ ما في الأمر أنّ مفاتيح الحلّ لن تكون إلا خارجية فالطبقة السياسية الحالية منفصلة عن الواقع الحالي وغير قادرة على اتخاذ قرارات جريئة تساهم في حلحلة جزء من المشاكل العالقة.

فمنذ شهر أكتوبر الماضي كُلف سعد الحريري بتشكيل الحكومة ورغم مرور كلّ هذا الوقت وتعدّد المشاورات والتصريحات الإيجابية وخاصّة مع انهيار العملة اللبنانية وفقدانها لأكثر من 85 بالمائة من قيمتها، تبدو الطبقة السياسية متعنتة في اختياراتها وغير مستعدة لتقديم تنازلات وخاصّة غير عابئة بمعاناة الشعب اللبناني الذي بات غير قادر حتّى على تأمين احتياجاته الغذائية، وهو

وضع يبدو شبيها بما تشهده العراق نتيجة للفشل السياسي والشلل الذي تعرفه مؤسسات الدولة نتيجة للمحاصرة الطائفية والانقسامات الداخلية الحادة و"بلطجة" الميليشيات.

فبعد مرور قرابة 78 سنة على استقلال دولة الأرز، يجد اللبنانيون أنفسهم معولّين على المستعمر السابق (والذي أسس للطائفية والانقسامات) لقيادة تسوية إقليمية دولية بمساهمة صندوق النقد الدولي، تتكون من خلالها حكومة إنقاذ وطني تلتزم بالقيام بإصلاحات جذرية وتخضع لرقابة مالية مشددة.



المصدر: dailystar.com.lb

السياسي ونقل الصلاحيات من مجموعة إلى أخرى على أسس طائفية وبالتالي فإنّ التغيير لم يعالج المشاكل البنوية داخل الدولة بل أنّه ساهم في تعميق الأزمة.

إنّ النظام السياسي اللبناني بشكله الحالي لم يتمكّن من تأسيس دولة متماسكة خاصّة في ظلّ تواجد السلاح بيد الميليشيات المختلفة والتأثيرات الخارجية القويّة على القرار اللبناني.

فالطائف لا يعدّ إلا نتيجة لالتقاء مصالح أمريكي سوري وصيغة نهائية بترتيب سعودي كما جاء في كتاب "حزب الله والدولة في لبنان" لصاحبه حسن فضل الله القيادي في حزب الله والنائب السابق في البرلمان.

منذ أزمة النفايات وانفجار مرفأ بيروت وانهيار قيمة الليرة اللبنانية إلى حدود الأزمة السياسية المتواصلة منذ أشهر، يعي قسم كبير من اللبنانيين أنّ هناك ارتباطاً وثيقاً بين طبيعة النظام السياسي الذي وصل إلى نهايته وبين الأزمة الاقتصادية المتفاقمة.

شهدت لبنان خلال منتصف شهر جويلية من هذا العام احتجاجات واسعة امتدت من طرابلس شمالاً إلى قلب بيروت، وذلك على خلفيّة تعطلّ الحوار بين رئيس الجمهورية ميشال عون ورئيس الحكومة المكلف سعد الحريري، ممّا أدى إلى اعتذار الأخير عن تشكيل الحكومة التي انتظرها اللبنانيون لأشهر عديدة.

هذه الاحتجاجات ليست بالمستغربة في بلد يشهد حراكاً شبه متواصل منذ تشرين الأول أكتوبر 2019 يناهز أنصاره بإسقاط النظام ردّاً على إجراءات حكومية تقضي بفرض رسوم مالية على الاتصالات المجانية عبر تطبيقات المراسلة الإلكترونية.

شعارات مثل "كلّني يعني كلّني"، "الشعب يريد إسقاط النظام"، "يسقط حكم المصرف" دقّت آخر مسمار في نعش نظام الطائف المهترئ (نسبة لاتفاق الطائف سنة 1989 الذي جمع فرقاء الحرب الأهلية اللبنانية ورسم ملامح النظام السياسي الحالي).

عند الإطلاع على نص الاتفاق، نجد أنّه يدعو إلى إنهاء الطائفية لكنّه عملياً قام بإعادة تشكيل المشهد

وحتّى الفاعلون السياسيون يدركون هذا الأمر جيّداً لكنهم عالقون

أسوأ ما في الأمر أنّ

مفاتيح الحلّ لن تكون

إلا خارجية فالطبقة

السياسية الحالية

منفصلة عن الواقع

الحالي وغير قادرة على

اتخاذ قرارات جريئة

## تونس ما بعد 25 جويلية: أي أفق ديمقراطي؟

إهدار للوقت والجهد في فترة حساسة)، وتحالفها الانتهازي مع عدو الامس حزب قلب تونس. وقد زاد الفشل الذريع الذي منبت به حكومة المشيشي في إدارة أزمة الكورونا في الأشهر الاخيرة في تعميق الازمة، حيث احتلت تونس مرتبة متقدمة في العالم في نسب الوفيات ودرجة انتشار العدوى. ارتباك المنظومة الصحية مضافا إلى حدة الازمة الاقتصادية جعلنا مؤسسات الدولة تقارب على الانهيار. نفذ صبر الشعب وصار يبحث عن الأب المنقذ وهو ما يتجلى من خلال استجداء تدخل رئيس الجمهورية في عدة مناسبات (نستطيع ملاحظة هذه الدعوات على صفحات التواصل الاجتماعي، كما من خلال هتافات الجماهير في أكثر من مناسبة عند الالتقاء بالرئيس).

مثل الابتهاج الشعبي الواسع بقرارات الرئيس ترجمة لهذا الانحراف، فبدل أن يخشى التونسيون من مخاطر الانفراد بالسلطة وإمسك شخص واحد بمقاليد الحكم، خاصة وأن لنا ماضيا قاسيا مع الحكم جاءت الثورة للقطع معه، ابتهجوا وباركوا بكل جوارحهم هذه الخطوة. ولا نستطيع لوم الشعب على ذلك. فحسب رأينا كان ذلك حتميا وكان ما أقدم عليه الرئيس حلا أخيرا لإنقاذ البلاد من الانهيار الموشك في ظلّ انسداد كلّ الأفق الأخرى الممكنة. فحتى حق الاحتجاج تمت محاصرته في الأشهر السابقة لـ 25 جويلية وتم التضييق على الناشطين وهرسلتهم بالإيقافات

مسارين متوازيين في تونس، مسار الانتقال الديمقراطي الذي حرص على بناء ديمقراطية شكلانية جافة، تهتم بالأساس بإجراء انتخابات وبتكيز هيئات دستورية كهيئة مقاومة الفساد وهيئة الحقيقة والكرامة وهيئة الانتخابات. ومسار ثوري، كما أطلقت عليه مجموعة جيل جديد، يقوده الشباب الغاضب في الشوارع من خلال التحركات الاحتجاجية التي ظلت تحرك الشارع بقوة في محاولة منها للدفع نحو تحقيق أهداف الثورة. كان هناك إذن طيلة السنوات العشر الفارطة صدع لم يتم رآبه بين الشارع والمؤسسات. وزاد في تعميقه تصدر حركة النهضة الإسلامية للمشهد السياسي حيث أنها اختارت التطبيع مع المنظومة القديمة وأدارت ظهرها لمطالب الثائرين بحثا منها عن إيجاد موقع في "السيستام".

أثبتت التجربة أن تغييب المعارك الحقيقية ذات البعد الاجتماعي والمواطني والانصراف عنها واختزالها فقط في الجدل القانوني لا يؤدي سوى إلى تأجيل هذه المعارك ولا يحلها بل ويؤدي الى انحرافات غير مأمونة العواقب في عدة أحيان. من ذلك نذكر ارتفاع الغضب والتلمل الشعبي الى درجة غير معهودة إثر انتخابات 2019 بعد العبث الذي أدارت به حركة النهضة مفاوضات تشكيل الحكومة (تعيين الجملي وما حفّ به من

من نافلة القول أن تونس قبل 25 جويلية ليست تونس ما بعد 25 جويلية. حيث مثلت مجموع القرارات التي أعلنها رئيس الجمهورية قيس سعيد من تجميد لعمل البرلمان وإعفاء لرئيس الحكومة وترؤس للنيابة العمومية منعرجا هاما ومفصليا في علاقة بالمشهد السياسي التونسي.

بعيدا عن الجدل القائم بين رجال القانون وعدة وجوه سياسية عن مدى دستورية ما أقدم عليه رئيس الجمهورية، يمكن إبداء تحفظات على هذا الجدل، على أهميته، نظرا لتجربتنا السيئة معه بعد الثورة، حيث اختصر أهل القانون الثورة في ضرورة إيجاد الإطار الدستوري والقانوني الملائم لمنظومة ما بعد الثورة. احتوى هؤلاء الزخم الثوري وحولوا وجهة المعارك، من التفكير ومحاولة خلق عقد اجتماعي جديد يؤسس لعلاقة مختلفة بين الدولة ومواطنيها، تقوم على كسر علاقات الهيمنة التقليدية وعلى الانتصار للفئات المهمشة واحترام الفرد والعدالة، إلى اختصار الأزمة في ضرورة إيجاد إطار مؤسسي لإدارة الفترة الانتقالية بسلام. من ذلك تأسيس هيئة تحقيق أهداف الثورة التي كان رئيسها عياض بن عاشور واعيا بهذا الرهان حيث عبّر عنه صراحة في كتابه ثورة في بلاد الاسلام بالقول محتجا على من انتقدوا عمله "لم تكن الهيئة مقبرة الثورة". خلق هذا الانحراف بالثورة



بقلم: سوسن فري

الكاتبة العامة لجمعية تونس الفتاة

saoussen@tounesaf.org

نفذ صبر الشعب وصار

يبحث عن الأب المنقذ

وهو ما يتجلى من

خلال استجداء تدخل

رئيس الجمهورية في

عدة مناسبات



المصدر: Hassene Dridi/AP/SIPA

علينا الاعتراف بفشل

تجربة الانتقال

الديمقراطي في تونس

وفي المنطقة العربية

مع تجارب "الربيع

العربي"

تونس وفي المنطقة العربية مع تجارب "الربيع العربي". فحتى إن لم ينحرف قيس سعيد بالسلطة الهائلة التي حازها، لا يمكن أبدا للديمقراطية أن تكون رهينة إرادة شخص واحد بل يجب أن تقوم على مؤسسات قوية تقيم علاقة متوازنة فيما بينها. يبدو أن الرهان اليوم في تونس تراجع أفقه، بعد الخراب الذي تركته الطبقة السياسية التي حكمت بعد الثورة، من المطالبة بدولة ديمقراطية تضمن الحقوق والحريات وكرامة مواطنيها إلى تمني استعادة دولة قادرة على دفع أجور موظفيها وقادرة على توفير حاجيات العيش الأساسية من أمن وصحة وتعليم. لا بد من الحفر عميقا لفهم أسباب هذا الفشل ومحاوله بناء بديل ديمقراطي مستقبلا على أسس أصلب.

يحتكر كل السلطات في البلاد دون أن تكون هناك رقابة تذكر عليه.

تمثل هذه الخطوة، على طابعها الضروري والعاجل، عثرة كبيرة أمام مأسسة الممارسة الديمقراطية وتحولها إلى ثقافة عند التونسيين، إذ يبدو بعد مسار انتقال ديمقراطي مليء بالنجاحات والإخفاقات على مدى عشر سنوات أننا عدنا إلى مربع البداية من تسليم جميع المقاليد إلى شخص واحد تمثي النفس أن يلهم الصواب في قراراته. لعلّ المشكل أنّ هذه الخطوة لم تكن مجرد إجراء استثنائي في ظرفية عابرة وإنما هي علامة على العجز الهيكلي الذي شهدته جميع المؤسسات في البلاد رغم حداثة عهدا بالديمقراطية.

نعتقد بأنه علينا الاعتراف بفشل تجربة الانتقال الديمقراطي في

ورفع القضايا الكيدية (نذكر ما تعرض له النشطاء حمزة نصري ومريم بريري ورائيا عمدوني وغيرهم) في مقابل السماح لأنصار حركة النهضة بالتظاهر بعشرات الآلاف في قلب الجائحة ودون أي مراعاة للظروف الصحية التي تعرفها البلاد. كما اعترت استقلال القضاء عديد الشبهات في ظلّ عزجه عن الوقوف في وجه طبقة سياسية مخترقة بالمال السياسي الفاسد. كل هذا وغيره جعل الخطوة التي أقدم عليها سعيد حلا حقيقيا لإنقاذ البلاد من الانهيار ولا بديل عنه ولكنه حل محفوف بالمخاطر ويمثل تهديدات جدية للديمقراطية في تونس. إذ يخبرنا التاريخ أن عدم تقييد السلطة يؤدي إن عاجلا أو أجملا إلى الاستبداد بها، حتى وإن كانت النوايا طيبة، والآن صار قيس سعيد

## كيف يتكوّن الدّين؟ قراءة في كتاب ألفرد نورث هوائتهد

على تعريفه، فعلى الرغم من تعدد الدراسات التي تناولت المسألة الدينية والأديان عموماً إلا أننا لا نكاد نعثر على تعريف واضح متفق عليه من قبل الجميع، فكأن هذا المصطلح يأتي أن يكون سهلاً وواضحاً، لذلك يكتفي هوائتهد بالقول بأنه يمكننا اعتبار الدّين "واقعة حاضرة وقائمة في كل مكان على مدى التاريخ الإنساني".

يعود المؤلف فيما بعد إلى نقد بعض الأفكار التي يرى أنها غير مقبولة كالبحث عن الحقيقة في الأديان أو التأكيد على أن هذا الدّين حقيقي والآخر باطل، لذلك نراه يسلم بحقيقتين فقط: الأولى تعتبر أن خصوصية الدّين تتجلى في أنّ موقف الإنسان منه دائم التغير والتحوّل، أما الفكرة الثانية فتتمثل في كون الدّين يعني التوحّد والانفراد والذي لا يمرّ بالوحدة فإنه لن يكون مُتديناً. فالمشروعات الدينية الكبرى على حد تعبيره هي تمظهرات لهذه الذاتية المنفردة، فبرومثيوس أو محمد أو بوذا أو المسيح هم كلهم ذوات عاشت عمق الروح الديني وعمق الإحساس بالوحدة.

ينتقل الفيلسوف فيما بعد إلى الحديث عن تاريخ ظهور الدّين، إذ يعتقد أن الدّين قد ارتبط بظهور أولى التجمعات الإنسانية والقبلية حيث أخذت تلعب الشعائر والأساطير أدواراً جامعة ومُوحدّة للأفراد، لتتحول فيما بعد إلى طقوس وممارسات مُقدّسة تحتاج إليها الجماعات لتضفي معنى على وجودها. وفي رأيه، فإن الشعائر والطقوس تعود إلى المراحل المبكرة من حياة البشرية فهي أصل الدين وقد يحدث خلط في المراحل الأولى بين الدين والأساطير لكن سرعان ما يختفي لأن التطور الإنساني يسير نحو العقلنة. وتعتبر الشعائر تلك الأفعال التي ليست لها أهمية في الوجود

هذا السياق صدرت سنة 2017 عن دار جداول ترجمة لكتاب كيف يتكوّن الدين -الذي ألفه الفيلسوف الإنجليزي ألفرد نورث هوائتهد سنة 1927 -من قبل المفكر اللبناني رضوان السيد.

ولد هوائتهد في 15 فيفري 1861 وتوفي في 30 ديسمبر 1947 وهو فيلسوف وعالم رياضيات إنجليزي كتب في اختصاصات متنوعة علمية وفكرية كالرياضيات والمنطق والفيزياء كما اهتم بفلسفة العلم والميتافيزيقيا.

يعد هذا الكتاب "كيف يتكوّن الدّين" من أهم ما كتب هوائتهد، فقد طرح من خلاله تساؤلات عميقة من قبيل كيف يتطور الدّين عبر التاريخ؟ من أين ومتى بدأ الوعي البشري بفكرة الإله؟ ما هو مفهوم الرّوح في الدّين؟ هل يمكن للدين أن يكون مصدراً للتقدّم؟ وهل هناك مستقبل للأديان في ظل العلمنة القوية التي تعيشها المجتمعات المعاصرة؟

يحتوي الكتاب أربع محاضرات عن الدين وهي محاضرات ألقاها المؤلّف في فيفري 1926 ببوسطن وقد كان هدف هذه المحاضرات حسب ما يذكر هوائتهد "عرض وتحليل العوامل المتعدّدة والمؤثّرة في الطبيعة الإنسانية وهي نفس العوامل التي تعمل معاً وتفاعل في تكوين الدين".

يُفتتح الكتاب بالمحاضرة الأولى التي جاءت تحت عنوان "الدّين في التاريخ" حيث انطلق المؤلّف من تساؤل يروم إيجاد تعريف للدّين موضعاً في ذلك غياب اتفاق واضح

بدأ الاهتمام بتاريخ الأديان بطريقة علمية منذ عصر النهضة الأوروبية في القرن الخامس عشر وذلك في إطار نقد سلطة الكنيسة وإعادة قراءة التراث الروماني-الإغريقي، بيد أنه لم يتطور إلى علم إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر على يد ماكس مولر الذي كتب أول كتاب عن علم الأديان.

ولئن حظي هذا الاختصاص باهتمام لافت من لدن الجامعات الغربية التي عملت على تطوير مناهجه والارتقاء به من خلال إنشاء مراكز بحث مُتعدّدة، فإن الجامعات العربية لم تنتبه بعد إلى أهمية هذا المبحث بعد مضي أكثر من قرن ونصف على تأسيسه فهو مهممل نتيجة وجود إرادة متعمّدة ترفض إدخال علم الأديان كعلم منضبط بمناهج بحث مثل بقية العلوم الإنسانية الأخرى.

ولا ريب أن ما تشهده الدول العربية حالياً من أزمات دينية دورية يكشف عن فشل محاولات التحديث الديني التي لم تهتم بالمسألة الدينية في رحاب الجامعات الأمر الذي منع تشكّل فكر مستنير متصالح مع الحداثة ومتسلح بمملكة النقد ومُلم إلماماً جيداً بتاريخ الأديان، فيكون بذلك قادراً على مواجهة الأسئلة التي ما انفكت تثيرها الظاهرة الدينية اليوم في ظل تصاعد العنف الديني والتوجهات الأصولية.

في هذا الإطار ازداد الاهتمام العربي نسبياً في السنوات الأخيرة بتاريخ الأديان ويظهر ذلك من خلال العمل على ترجمة أهم ما تم تأليفه في هذا المجال من لدن المفكرين الغربيين. في



بقلم: فهمي رمزاني

أستاذ مبرّز في التاريخ

عضو الهيئة المديرة لجمعية تونس الفتاة

fahmi@tounesaf.org

الدّين قد ارتبط بظهور

أولى التجمعات

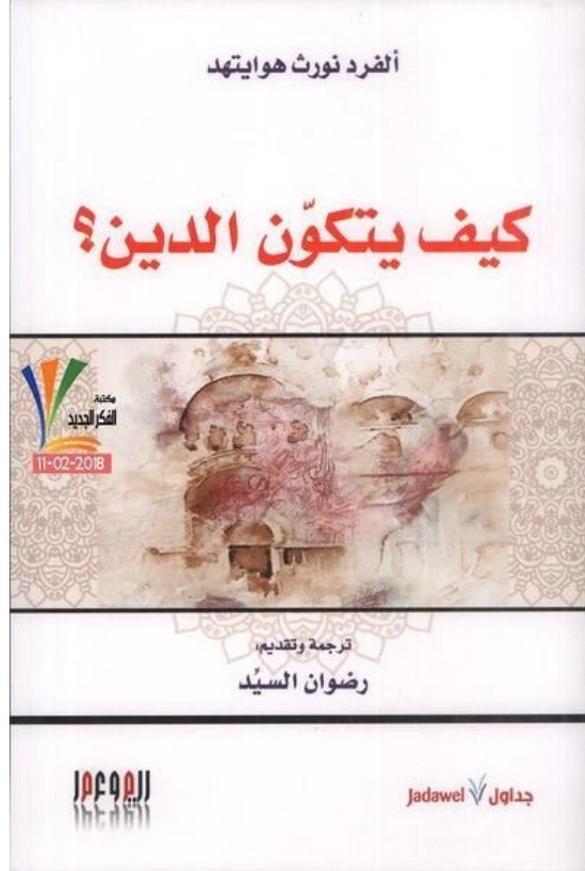
الإنسانية والقبلية

حيث أخذت تلعب

الشعائر والأساطير

أدواراً جامعة ومُوحدّة

للأفراد



الإنساني لكنها تشعره بالراحة والسرور فأصبح بذلك أداؤها مستحبا.

ويتمظهر الدّين في التاريخ الإنساني حسب هوايته من خلال أربعة أبعاد وهي الشعائر والمشاعر والإيمان والعقلنة، بيد أن هذه الأبعاد والتمظهرات لا تمارس التأثير نفسه في كل الأزمنة والتجارب التاريخية.

يتطرق الفيلسوف في المحاضرات المتبقية إلى إشكاليات متنوعة، حيث اهتم في البداية بجذلية الدّين والميتافيزيقا، فقد اعتبر أن العلم بإمكانه الاستغناء عن الميتافيزيقا في حين أن الدّين لا يستطيع ذلك لأنه على حد تعبيره يمثل "الرغبة العميقة للرّوح لمعانقة الأبدى واللامحسوس". أما الإله فهو ليس العالم كما نظرت لذلك الرواية الشرق آسيوية لكنه "معنى العالم". هنا يمكن أن نستنتج أن هوايته رجل الفيزياء والرياضيات متأثر بالبوذية التي تؤكد على ضرورة تماهي الذات مع الكون والابتعاد عن الشهوات وتركها والدّعوة إلى الخير.

يتعرض المؤلف كذلك إلى قضية مهمة تتمثل في تراجع الأديان والروحانيات أمام الصعود المتواصل للعلمنة والعقلنة الأمر الذي جعل الدين يتوقف عن كونه مصدرا للتقدم، إذ حلّ مكانه العلم منذ عصر الثورة الصناعية، لذلك يعتقد هوايته أن الإنسان الحديث سيعيش أزمنة نفسية حادة ناتجة عن فقدانه للبعد الروحي. فهل بإمكان الفن مثلا أن يعوض الدّين ويخلق التوازن الروحي عند الإنسان؟

و في خاتمة الكتاب يشير المؤلف إلى إمكانية أن يكون الدّين مصدرا للتقدم وسمو الذات الإنسانية حينما يتحول إلى فكرة قابلة للنقد ولا يكون إيمانا غير معقلن، وهو ما

حصل في أوروبا إثر حركات الإصلاح الديني حيث قاد الأوروبيون التطور الديني باتجاه الدين العقلاني. يقول هوايته في هذا الإطار " إن الدين العقلاني هو الذي تنتظم عقائده وشعائره والتي جرت إعادة ترتيبها بهدف أن تتحول إلى عنصر أساس في نظام الحياة وهو نظام حياة يتمتع بالفكر المستنير وبالتركيز على السلوك من أجل غاية عليا تقتضي- مصيرا أخلاقيا وتظل متناسقة العناصر "

عموما فقد أبان الكتاب عن أهمية المنهج المتبع من قبل هوايته والذي يعتمد على التوازي والتداخل بين التطور الدّيني والتطور الإنساني من أجل فهم جذور تكوّن الدّين ومسار تطوره، بيد أن ذلك لا يمنعنا من الإشارة إلى بعض النقاط النقدية التي نراها مهمة: فلئن تميز المنهج بالدقة والوضوح، فإن التحليل الذي قدّمه المؤلف لبعض الأفكار كان

أقرب إلى الميتافيزيقا والخيال منه إلى الواقع حيث لاحظنا غياب الربط بين التمثلات الدينية والواقع المعيش والمادي.

أما ثانيا فلئن اهتم هوايته بدراسة تاريخ المسيحية والبوذية فإنه أهمل الاستناد إلى المنهج المقارن حيث لم نجد ذكرا لليهودية أو للإسلام الأمر الذي يجعل العمل تسيطر عليه النظرة الأحادية الضيقة التي لا تبعد كثيرا عن سرديات المركزية الأوروبية.

أما أخيرا فإن دراسة المؤلف للدين والأسطورة لم تخل من تقصير منهجي في بعض الجوانب حيث تجاهل العلاقة التي تربط بين هذين المكونين منذ بداية التاريخ ليكتفي فقط بتحليل التطورات التي ميزت الأديان والأساطير منذ فجر التاريخ.

فلئن اهتم هوايته

بدراسة تاريخ المسيحية

والبوذية فإنه أهمل

الاستناد إلى المنهج المقارن

حيث لم نجد ذكرا

لليهودية أو للإسلام الأمر

الذي يجعل العمل

تسيطر عليه النظرة

الأحادية الضيقة

## يوميات الطاهر الفازع الأسبوعية:

### صفحات من التاريخ المحكي

ينطوي كتاب الطاهر الفازع "اليوميات الأسبوعية" Chroniques Hebdo على أهميّة خاصة بين مجموع كتبه إذ هي اختزال لتاريخ تونس الحديثة من خلال ذكريات الكاتب نفسه وقصص بعض الشخصيات التي التقاها. الكتاب ذو الـ 191 صفحة من نشر دار أبولونيا، صدر أول مرة في تونس سنة 1998 وهو مجموعة قصص قصيرة كتبت بالفرنسية بأسلوب ساخر وتنقسم إلى ثلاثة أجزاء: أولها يتحدث عن ذكريات الكاتب طفلا تحت الاستعمار الفرنسي في قريته مجاز الباب بولاية باجة (الشمال الغربي للبلاد التونسية) وشابا بعيد الاستقلال في العاصمة. ثانيها يسرد تفاصيل حياته كرتب عائلة وهنا نقرب من فهم الروابط الاجتماعية داخل العائلة التونسية الحديثة وخارجها. ثالثها يتحدث عن قصص شخوص متعددة وهي على اختلافها تقرّبنا من المعيش اليومي للتونسي وتساعدنا على فهم نفسيته. أكتفي في هذه المراجعة بتناول الجزء الأول. ما يمكن أن يشد القارئ خاصة غير المطلع على التاريخ هو بساطة الحكايات وتوثيقها لقضايا وطنية كبيرة كالسياسات الاستعمارية أو التجارب الاقتصادية المتخبطة من خلال الذاتي والشخصي. الطاهر الفازع من مواليد 1948، وهو ما مكّنه من معايشة السنوات الأخيرة من الاستعمار. تحدّث عن تعالي المستعمرين على السكان المحليين وكيف أنه ببساطة الأطفال استغرب من تلك المعاملة التي بدت ضد فطرته. لكنه أيضا تحدّث عن "الأرباح الجانبية" من الاستعمار فتطرّق إلى جمال المنازل وحدائقها وجودة النظام التعليمي آنذاك وكيف تميّز في الفرنسية وحتى تفوّق على أترابه من الفرنسيين في استخدام لغتهم الأم وهو ما مكّنه من فتح آفاقه الفكرية على لغة الثورة الفرنسية، ثورة الفكر وحقوق الإنسان بامتياز. يخبرنا الكتاب أيضا عن مدى الاختلاط الإثني والثقافي والديني الذي كانت قرية مجاز الباب تعيشه. ضمت مجاز الباب الأوروبيين الذين قدموا للسيطرة على الأرض وقد استخدموا "الزنديجان" (indigènes) ومنهم

التنوع القرية تعتمل بالفنون ومحبي الجمال والحياة والعلوم رغم قساوة الظروف فزى الطاهر يحنّ لأيام صفوه وخلوّ باله مثل أي طفل. أحد هؤلاء عشق تونس واعتبرها وطنه ورفض الرجوع إلى مالطا ولكن وقد عجز، قدم أبناؤه وأرجعوه قسرا إليها. ويراقب الطاهر الفازع طفلا تصرفات أهل الكتب السماوية الثلاث. فتشتد رهبته من اليهود لشدة الجدية البادية على متبعيها ويهتز قلبه فرحا لأهازيج الكنيسة واحتفالية روادها وقد تزينوا للصلاة أيام الآحاد.

عن فترة بعيد الاستقلال، يحدثنا الطاهر الفازع خاصة عن الستينات والسبعينات ومن الذكريات القوية ذكريات فشل التجربة التعاقدية في أرياف الجمهورية الحديثة. فأصحاب الأرض بالأمس أصبحوا حسب النظام الجديد أجراء فيها. تردت الأوضاع الاقتصادية وجرفت فيضانات وادي مجردة المحاصيل وعمّ الكفاف العموم فترى المزارعين الصغار يدفنون بذور البطاطا صباحا ليعودوا مستترين بالليل فيخرجوها من باطن الأرض ليأكلوها.

مع هذا تنفرج الأوضاع قليلا مع تحرير السوق في السبعينات والقطع مع النظام



بقلم: **خلود الخمّاسي**

مدرّسة لغة إنجليزية

ومؤسسة دار بركة للنشر الإلكتروني

khouloud@tounesaf.org

”

**ضمت مجاز الباب**

**الأوروبيين الذين قدموا**

**للسيطرة على الأرض وقد**

**استخدموا "الزنديجان"**

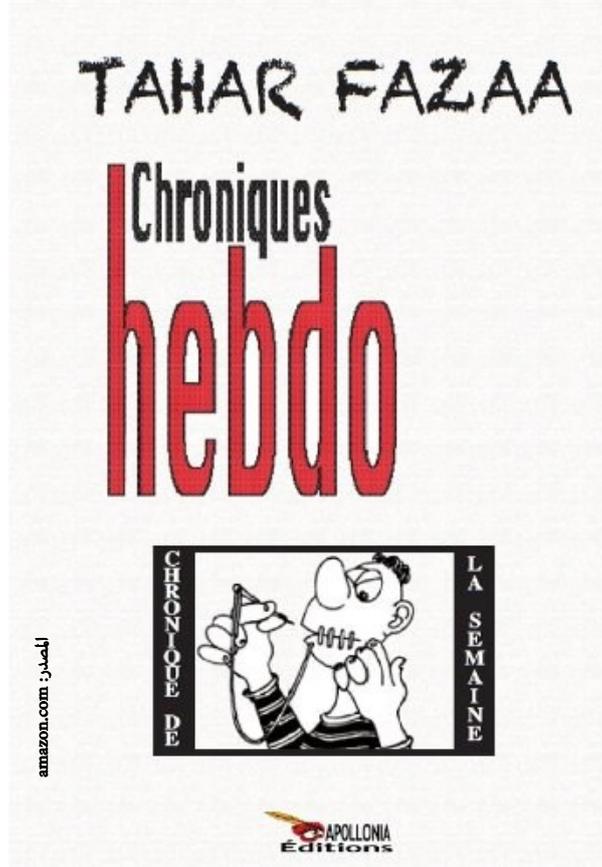
**(indigènes) ومنهم من**

**كانوا يعيشون مثل**

**المحليين كما هو شأن**

**المالطيين**

“



الاشتراكي ولكن ينزح الريفيون نحو المدينة وهنا نقرأ عن المقاهي والحانات التي كانت تقدم خدمات ذات جودة عالية (عكس اليوم) تتماشى مع مجتمع "منفتح" على الاختلاف بفضل تركة المعمر الثقافي وتجمع عشاق الحياة والمثقفين على اختلاف توجهاتهم. نقرأ أيضا أخبار نشأة الأحياء القصدية أو البناءات العشوائية وكيف غيرت هذه التحولات العمرانية والمجتمعية وجه المدينة وروحها. يبدو الطاهر الفازع ممن يؤمنون بأن اعتباطية موجات النزوح هذه ساهمت في خلق ثقافة فوضوية شوهدت وجه المدينة عمرانيا وقيما.

من المفارقات العجيبة في حكايات الطاهر الفازع تغير المشهد العمراني في قريته فحسب روايته، كل ذلك الجمال في البناء وترتيب الحدائق ضاع بعيد رحيل المعمرين وعُوضت الأسوار اللوحية أو النباتية للحدائق بأخرى إسمنتية عالية لتحفظ حرمة البيوت حسب تقاليد القرويين المحليين. ولكن الفازع يحدثنا أيضا عن التغيرات الجمالية التي طرأت على النساء التونسيات فقد أسفرن عن شعورهن وزينتهن وشرعن في التخلص من قوانين

القبيلة المكبلة لعقولهن وعواطفهن. وإذ تغير وجود المرأة وإذ ولجت الحياة العامة فقد أوجب الوضع الجديد على الرجل التونسي التكيف في إطار مختلف عن ذلك الذي نراه في مجتمعات تقليدية محافظة فالطاهر ومعاصريه ممن فرّقوا عن النساء وتربوا على عدم الاختلاط غدوا يتشاركون مقاعد الدراسة والمرافق الأخرى.

العمومية كالنقل والشارع مع الفتيات وتطلب هذا إعادة تربية ذهنية الذكور وترتيبها. أين تونس الحديثة من ذلك اليوم؟ يجيب باقي الكتاب عن هذا السؤال من خلال أقصوصات عن حياة الكاتب الأسرية وبعض الشخصيات الأخرى.

كل ذلك الجمال في البناء وترتيب الحدائق ضاع بعيد رحيل المعمرين وعُوضت الأسوار اللوحية أو النباتية للحدائق بأخرى إسمنتية عالية لتحفظ حرمة البيوت حسب تقاليد القرويين المحليين

## وقائع القتل المشتهى



إلى فريدي مركوري، حيثما كان

-1-

قتلته يا أمي...  
خَصَّب شعري دُمهُ  
يصير سَنِي شَفَقًا  
ما كان قبلي أحدٌ بالغه  
لَمَّا مشى بين ثنايا جسمي  
مازال سَكِينِي على ارتعاشه  
يهتَزُّ أربعين مرّة  
بعَدَ ما تراءى من جراح  
وهي تفتح ذراعِها  
تريد ضَمِّي  
الربع في عينيه كان صاخبا



بقلم: حمزة عمر

رئيس جمعية تونس الفتاة

hamza@tounesaf.org

صباحاته سَجِينة في أَدُنِّي  
كم أخاف موعدا تضربه لي كل ليلة  
لتسرد الحكاية كما هي، كما أبصرتها  
كما فعلتها  
أزيد غرقا في إنمي  
أماه، لا تبكي عليه أو علي  
ذاك ما كُنَّا كَتَبناه معا  
وما انتظرناه مع القصيدة الأولى  
تشرّدا على تجليات الحلم

-2-

كان فيه كل ما أكرهه  
مرجل خوف كله يغلي  
غبار من مأس لم تقع إلا افتراضا  
وحطام من تواريخ بلا معنى  
خدوش ضخمت في مجهر الذات الخجوله  
رَمًا يصنع الجمع انفجارا  
لثوان يرتدي هَبَات البطوله  
ثم يرتد إلى داخله والجرح وليد  
يستوي شابا فتيا بعد يومين  
فيقفو سابقه  
في زحام يقفل الأبواب في وجه النفس  
أبدا ما كان حيًا  
طعنتي طالت رمادا رَمًا يحلم بالعنقاء  
لا جمر بتلك النار

لكن أمانيه اصطياد للقبس  
عاش أم مات... أروني الفرق  
آلاف على صورته مرّوا  
رأوا مستقبلا في عالم هم وحدهم أنصابه  
لم يعبر ضفاف الحلم منهم أحد  
قد علقوا في الوقت، وقت الأمانى  
يستعيذون مرارا من أباطيل الهوس

-3-

عندما تعزف الريح أصغي  
لعلّي أحمّن من أين تأتي  
إلى أين تقصد  
ماذا تقول أناشيدها؟  
غالبًا، لست أسمع منها جوابا  
ولكن إذا ما صفا الجوّ  
أو رقت الروح  
قد نلتقي في مكان قصي  
ليحكّي تهويدها:

لست إلا هواء يضلّ  
ولا شيء يهدي السبيل  
أظللّ أغنّي لأؤنس نفسي إذا ارتجفت  
أتمسك بالنبض لأنسى الضياع  
أعدّ الدقائق أرقب نجما يطلّ عليّ  
لأعرف أنّ الطريق حقيقه  
عُمري الآن ما لست أحصيه  
لم يتبدّ أمامي سوى البرق  
لاحقته مرّة بعد أخرى  
وها أنا في أول التيه مثل البداية  
ما عادت السنوات تجيب ندائي  
عساها تكون بصمتي رقيقه  
أعرف الآن شيئًا فقط...  
أنّ لا شيء حقًا يهّم  
وكلّ الرحيل هباء

رَمًا لو علمتُ بذلك من قبل  
كنت لأتقن عزفي  
ليصبح في ذاته غاية  
رَمًا وقتها كان يمكن أن ينجلي قلقي  
فأسكن فيما أسميه لي منزلا  
لا أبالي أسمع صوتي السماء

-4-

غفرتُ لكم جميعا  
فأذهبوا، قد صرتم الطلقاء،  
من حزني ومن غضبي  
لقد خُضت الحروب جميعها  
علّي أراني بينكم  
لا أخنق الكلمات داخل مهدها  
أمشي ولا أحصي خطايا  
أنام ليلاتي بلا أرق  
فكيف ألود بعد اليوم بي  
إن كنت قد أنفقت نفسي كلها فيكم  
ولم يتبقّ شيء لي  
أسجل فيه ما أنا  
مثل تذكّار على ورق  
أراني والليالي أنقضت ظهري  
أسافر في زمان لم يكن من قبل لي  
فارضوا إذا شئتم  
أطيلوا العذل إن رتمتم  
فلم أخلق لأحياها هنا فيكم  
بلا وجه ولا نسب  
سأولد مرّة أخرى  
على جبل يطلّ على أقاصي الكون  
أصنع من سقوط الثلج حضا  
فوفه أغفو قليلا  
رَمًا أصحو وكلي حاضر  
في ساعة الفلق





# جمعية تونس الفتاة

الهاتف: 29797625

البريد الإلكتروني: [contact@tounesaf.org](mailto:contact@tounesaf.org)

الموقع: [www.tounesaf.org](http://www.tounesaf.org)

فايسبوك: [facebook.com/tounesalfatet](https://facebook.com/tounesalfatet)

تويتر: [twitter.com/tounesalfatet](https://twitter.com/tounesalfatet)

انستغرام: [@tounesaf](https://www.instagram.com/tounesaf)